ظواهر لغويّة في شعر الجواهريّ

المدرس الدكتور

سعيد إبراهيم صيهود

جامعة البصرة / كليّة التّربية البدنيّة وعلوم الرّياضة

الملخص:

يدرس هذا البحث ظواهر أسلوبية في شعر الجواهري تتعلق ببنية المفردة وما يعتريها من ظواهر صوتية ترجع الى ضرورة الشعرية أو أنَّ الشاعر استعملها انطلاقاً من الموروث اللغوي والشعري الذي يمتلكه ، فلا شكَّ في أنَّ الجواهري من الشعراء المطبوعين ، قرأ دواوين الشعر منذ العصور القديمة ابتداءً بعصر ماقبل الاسلام وانتهاءً بالعصر الحديث ، وقرأ كذلك كتب اللغة ممّا تعلق بأصواتها زنحوها ولغاتها وهو مايظهر جلياً في شعره .

لهذا كان شعره منطلقاً لدراستنا هذه ، فقد حاول الجواهري السير على سنن الشعراء الكبار ، وقد حذا حذوهم في كثير من المسائل الصوتية والصرفية والنحوية وغير ذلك ممّا يتعلق باللغات وماله نظر في الشواهد النحوية التي لم تقتصر على كونها ضرورة شعرية ، بل أنّها لغة من اللغات وظاهرة أسلوبية شائعة في الشعر .

يبدو الجواهري متأثراً بلغة القرآن الكريم ، ليس على مستوى اللفظة فحسب فعلى المستوى الصوتي نجد الشاعر يحذو حذو القرآن الكريم في كثير من المسائل ،

وعلى المستوى الصرفي ظهر كثير من المسائل التي خرق فيها الجواهري قانون اللغة ، إذ الشعر لايخضع لقانون اللغة ، بل الشعر كما يقال خرق لقانون اللغة . كما حاول الشاعر في كثير من الأحيان مجاراة كبار الشعراء في الجاهلية والاسلام وغيرها من العصور الأدبية .

Crammatical Features in Al – Jawahris Poetry

The searcher: Dr. Saeed Ibrahim Saihood

University of Basra / Faculty of Physical Education and Sports Sciences

Abstract

This search is study stylish phenomenon in Al-Jawahiry poet. AlJawahiry was from the typical poet , read the poet from the ancient age start the age before Islam to end the modern age .

Also read the language books with its sound ,grammar and its language and this clearly appear in his poet. for this reason his poet is springboard to this study , so, Al-Jawahiry tried to flow the great poet ,so, he followed them in onomatopoeia, declension and grammar problems.

Al-Jawahiry to be influence in Al-Quran al- karim language , not just the word level but also the sounded level, we have found the poet use the Quran method in more things.

In the declension level appear more of the problem that Al Jawahiry broke the language rules in it. That the poet don't control to the language rules, but the poet –as said- its permeation to the language rules.

المقـــــدمة :

الحمد للّه وكفى وسلامٌ على رسوله المصطفى وعلى آله أولي العلم والتّقى، وبعد..

فهذا البحث يدرس ظواهر أسلوبيّةً في شعر الجواهريّ تتعلّق ببنية المفردة وما يعتريها من ظواهر صوتيّة ترجع إلى الضّرورة الشّعريّة أو أنّ الشّاعر استعملها انطلاقاً من الموروث اللّغويّ والشّعريّ الذي يمتلكه، فلا شّكَّ في أنّ الجواهريّ من الشّعراء المطبوعين، قرأ دواوين الشّعر منذ العصور القديمة ابتداءً بعصر ما قبل الإسلام وانتهاءً بالعصر الحديث، وقرأ كذلك كتب اللّغة ممّا تعلق بأصواتها ونحوها ولغاتها وهو ما يظهر جليّاً في شعره،

ولهذا كان شعره منطلقاً لدراستنا هذه، فقد حاول الجواهريّ السّير على سنن الشّعراء الكبار، وقد حذا حذوهم في كثير من المسائل الصّوتيّة والصّرفيّة والنحويّة وغير ذلك ممّا يتعلّق باللّغات وما له نظير في الشّواهد النحويّة التي لم تقتصر على كونها ضرورة شعريّة، بل على أنّها لغة من اللّغات وظاهرة أسلوبيّة شائعة في الشّعر.

أولاً: المستوى الصّرفيّ:

تمتاز لغة الشّعر بوجه عامّ بأنّ ألفاظها مستقاة من الواقع والبيئة التي يعيشها الشّاعر فلا تكلّفَ فيها ولا تعقيدَ، ولذلك (جنح الشّاعر المعاصرُ إلى السّهولة، وكلّ ما يناسبُ عصرهُ ولعلّه ينشدّ أحياناً إلى أنماط معيّنة من الألفاظ معتمداً في ذلك على ذوقه الخاص)[١]، ولذلك لا نجد عند الشّاعر على مرّ العصور التزاماً بقوانين اللّغة وقواعدها، ذلك لأنّ الشّعر له لغته الخاصة، وهو في الأساس (خرقٌ منهجيٌّ لقانون اللّغة)[٢].

إنّ الشّاعرَ يدرك تمامَ الإدراك ما تؤدّيه اللّفظة المفردة في المعجم اللّغويّ، ولكنّه محكوم بوزن وقافية تجعلانه يغير دلالة اللّفظة، إلّا أنّ ارتباطها بالمعجم باقٍ لا يتغير، فليس ثمّةَ انقطاع أو مفارقة بين المعنى المعجمي والمعنى الشّعريّ (لأنّ الأولَ يشكّل نقطة الانطلاق إلى غيره منَ المعاني، وهو ملتصقٌ بالكلمة و إن بدا في ظاهره

خارجاً عنها، فالشّاعر لا يستخدم الكلمات بالمعنى الجديد في قصيدته قبلَ أن يدركَ إدراكاً تامّاً معانيها المعجميّة، وهذا ما ينسحب أيضاً على القارئ، لأنّ القصيدةَ عندما تضع المفردةَ في سياقها الشّعريّ، إنّما تظللّها بطيف إيحائيّ يجعلها أكثر امتلاءً)[٣].

ولعلّ المفردات أكثر عناصر اللّغة عرضةً للتّغيير والتبديل، فنلحظ المفردة في الشّعر تعتريها الزيادة والحذف وغيرها.

وقد تبيّن أنّ الجواهريّ له تصرّف كبير على مستوى المفردة الشّعريّة على الرّغمِ من اطّلاعه الواسع على علوم اللّغة المختلفة ومعرفته بما يجوز للشّاعر فيها وما لا يجوز ، وقد أشار في شعره إلى مفردات مرتبطة بموضوعات لغويّة من الصّوت والوزن تتعلّق ببنية المفردة في اللّغة من نحو قوله (٧٧٦):

يَا دِجْلَةَ الخَيْرِ إنَّ الشِّعْرَ هَدْهَدَةٌ للسَّمعِ مَا بَيْنَ تَرْخِيمٍ وَتَنْوِينِ

فالشّعر عنده تزينه موسيقاه بما تحويه من ترخيم الصّوت وتنوينه، ومنه قوله (٩٤٣):

قَالُوا: أبٌ بَرٌّ فَكَانَتْ أمَةٌ أَلِفاً، وَوَحْدَكَ كُنْتَ فِيهَا البَاءَ

فالممدوح يمثّل عنده نصف الأمة ، وهو للأمّة كالباء للألف من كلمة أب، وقال (٩٠٢):

كَذِبُوا وَإنْ كَانُوا أصَا بُوا مِنْ حُرُوفِ الصِّدْقِ قَافَا

فمبغضوه وأعداؤه كاذبون مفترون، لم يصدقوا في شيء ولو ما يوازي حرفاً من حروف الصّدق. إنّ هذا التّمثيل والتشبيه بمفردات اللّغة عند الشّاعر ينمّ عن وعي كامل بقواعد اللّغة وقوانينها، ويوحي بأنّ الشّاعر يمتلك ثقافةً لغويّةً عاليةً، ولكنّه قد يقع في المحظور من هذه القوانين فيرتكب ما يخالفها، فمن ذلك:

-الجمع:

يرد الجمع في شعر الجواهريّ على غير القياس في بعض الأحيان، وذلك كجمعه (عَصْر) على (عُصُر)، قال (٦٢٨):

الهَادِيَاتُ إلى الأقْوَامِ مِنْ عُصُرٍ وَالمُشْرِفَاتُ عَلَى الدُّنْيَا إلَى عُصُرِ

وجَمَعَهُ كذلك على (أعْصَار) في قوله (٦٩٧):

كَأنَّهُنَّ دِنَانُ الخُلْدِ عَاطِرَةً أتَتْ عَلَيْهِنَّ أزْمَانٌ وَأعْصَارُ

ومنه جمعُه (العَبْد) على (عِبِدَّى) وإن كان مستعملاً إلّا أنه جمعٌ قليلٌ، فهو يُجمع على عِبَاد و عُبُد وعِبَدان وعِبدّان وأعَابد والعِبِدّى اسم جمع[٤]. يقول الجواهريّ (٨٧٢):

عِبِدَّى لَا يُريدُونَ انْعِتَاقاً و أطْمَاحُ العَبِيدِ إلى انْعِتَاقِ

ويقول (٢٨٩):

وَأنَّ القَوَافِي عِبِدَّى لَهُ يُفَرِّقُ أشْتَاتَهَا أوْ يَذَرْ

فجمَع العَبْدَ على عِبِدَّى، والظّاهر أنَّ ذلك لم يكن بسبب الوزن العروضيّ والضّرورة الشّعريّة؛ إذ كان بمقدوره أن يقولَ (عَبِيدٌ) من دون أن يختلَ الوزن، ولعلّ في ذلك دلالةً على الانصياع والتّذلّل، لما في صيغة (فِعِلَّى) من الإدغام الذي يفيد التّكرار ما يناسب إصرارهم على العبوديّة وعدم قبولهم بالانعتاق، وما قلناه-هنا- ينطبق كذلك على قوله (٢٨٩):

وَأنَّ القَوَافِي عِبِدَّى لَهُ يُفَرِّقُ أشْتَاتَهَا أوْ يَذَرْ

فلو قال عبيدٌ لاستقام له الوزن أيضاً، إلّا أنّه فضّل عِبِدّى لأنّ فيها إيحاءً بتذلّل هذه القوافي وطواعيّتها له، فهي مناسبةً للمقام أكثر من غيرها.

ومنه كذلك جمعُه (الجبل) على (أجْبَال)، والمعروف أنّه يجمع على (جِبَال)، قال (٩٣٧):

شَرَفٌ يَنْطَحُ النُّجُومَ بِرَوْقَيْـ ـهِ وَعِزٌّ يُقَلْقِلُ الأجْبَالَا

ومنه جمعُه (حُقْبَة) على (أحْقِبَة)، وهي تُجمع على (أحْقَاب)، كما قال تعالى:{ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً}[٥]، يقول الجواهريّ (٩١٠):

يَا شَاغِلَ الدَّهْرِ أجيَالاً وَأحْقِبَةً وَمُتْعِبَ النَّاسِ مَنْ ذَمُّوا وَمَنْ حَمِدُوا

وكذلك جمعَ (شَاعِر) على (شَاعِرِين)، والمعروف أنّه يُجمع جمعَ تكسير لا جمعَ مذكّرٍ سالماً، أي (شُعَرَاء)، يقول (١٩٥):

أسَاتِذَتِي لَا تُوحِدُونِي فَإنَنِي بِوَادٍ وَكُلُّ الشَّاعِرِينَ بِوَادِي

ومن ذلك جمعُهُ (فَرْع) على (أفْرَاع) والمشهور أنّه يجمع على (أفْرُع) و (فُرُوع)، يقول (١٥٥):

وَبَذَرْتَ لِلأوْطَانِ أشْرَفَ بَذْرَةٍ سَتَطُولُ أفْرَاعٌ لَهَا وَأُصُولُ

-الحذف:

ونقصد به حذف حرف من بنية المفردة وأكثر ما يكون ذلك عند الجواهريّ في المواضع التي يجتمع فيها حرفان كصيغة (تَتَفَعَّلُ)، وهذا الأسلوب يكثر ورودُه في القرآن الكريم من نحو قوله تعالى:{وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ}[٦]، قال أبو حيّان: (وقرأ عاصم: تَصَدَّقُوا، بحذف التّاء، وفي مصحف عبد اللّه: تَتَصَدَّقُوا، بتاءين وهو الأصل، والإدغام تخفيف، والحذفُ أكثرُ تخفيفاً)[٧]، وورود هذا الأسلوب في شعر الجواهريّ أكثر من أن يُحصى، وهو يأتي في قافية البيت الشّعريّ ما يُوحي بأنّه ضرورةٌ كقوله: (٧٥٠):

وَ يَا رَبَّ تَمُّوزٍ نَزَلْتَ بِلَيْلِهِ عَلَى السَّحَرِ الرَّيَّانِ نَاراً تَلَهَّبُ

أراد: تَتَلَهَّبُ، وقال (٧٥٠):

وَهَا هِيَ نَحْوَ الشَّرْقِ تَلْوِي رِقَابَهَا شُمُسٌ عَنِ الغَرْبِ التَّعيسِ تَنَكَّبُ

أراد: تَتَنَكَّبُ، والظّاهر أنّ هذا الأمرَ لم يقتصرْ على القافية بل ورد كذلك في حشو البيت الشّعريّ ما يدعونا إلى القول بأنّ الشّاعر قد قصد ذلك من أجل تخفيف وقع الكلمة و إقامة الوزن، يقول (٦١٥):

تَبَلَّدُ كَالرَّبِيظَةِ فِي رَخَاءٍ وَتَثْغُو فِي التَّثَاؤبِ كَالسَّوَامِ

أراد: تَتَبَلَّدُ، وقال (٧١٥):

مَا مِثْلُهُ وَطَنٌ تَلَوَّنُ أرْضُهُ حُسْناً كَمَا تَتَلَوَّنُ الأقْزَاحُ

أراد: تَتَلَوَّنُ، وإن احتمل هذا البناء للمجهول، أي (تُلَوَّنُ)، فهو من باب حذف إحدى التّاءين، إذ الأصلُ (تُتَلَوَّنُ).

ومن ذلك أيضاً حذف التّاء من صيغة (تَفَاعَلَ)، وهو ما ورد به التّنزيل العزيز كذلك من نحو قوله تعالى:{تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}[٨]، فمن هذا قول الجواهريّ (٦١٥):

فَدَتْكِ الأمَّهَاتُ مُكَرّشَاتٍ تَثَاقَلُ بِالفُضُولِ مِنَ الطَّعَامِ

أراد: تَتَثَاقَلُ، وهو حذف تخفيف.

ومنه كذلك حذف التّاء من صيغة (استفعل)، وأكثر ما يرد ذلك في الفعل (استطاع)، كما قال تعالى:{فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً}[٩]، فمن ذلك قول الجواهريّ (٣٧٨):

أَلَا قُوَّةٌ تَسْطِيْعُ دَفْعَ المَظَالِمِ وَانْعَاشَ مَخْلُوقٍ عَلَى الذُّلِّ نَائِمِ

أراد: تَسْتَطِيْعُ، وقولُه:(٧٠٠):

مَتَى اسْطَعْتَ وَأدَ نِدَاءِ الضَّمِيرِ بِمَا لَمْ تُطِقْهُ يَدَا وَائِدِ

أراد: اسْتَطَعْتَ.

-الإدغام :

يلحظ في شعر الجواهريَ أنّه يلجأ إلى إدغام حروف الفعل بداعٍ من الضّرورة الشّعريّة ، فمن ذلك قولُه (١٠١٢):

كِبْراً صَمَدْنَا لَهَا فَاسَّاقَطَتْ كِسَراً كَمَا تَسَاقَطَ فَوْقَ الأيْكَةِ الوَرَقُ

فالفعل (اسَّاقَطَ) أصْلُهُ (تَسَاقَطَ)، وقولُه (٥٤٠):

كَمَا اسَّاقَطَتْ بِالحَصَاةِ الثِّمَارْ

أراد: تَسَاقَطَتْ فأدغم التّاء بالسّين، وقال(٤٨٥):

وَنَجْمٌ تَغَوَّرَ مِنْ حُبِّهَا وَنَجْمٌ عَلَيْهَا ادَّنَى فَادَّلَى

أراد: تَدَنَى فَتَدَلَّى فأدغم التّاء في الدّال، وهو مأخوذٌ من قوله تعالى:{ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى}[١٠]، وهو على غرار قوله تعالى:{وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ}[١١]، أي: تَذكّرَ، ومنه كذلك قولُه (٩٣٨):

وَادَّوَّرَتْ كَيْ تقْطَفَ الوَجْنَتَان كَالثَّمْرِ الغَضِّ ادَّلَى كَيْ يُنَالْ

أراد: تَدَوَّرِتْ وتَدَلَّى. وقولُه (١٠٤٥):

إذَا هَزْهَزَتْهُ الرِّيحُ وَاسَّرَّحَتْ بِهِ خُيُوطٌ مِنَ الأضْوَاءِ مِثْلُ الجَدَائِلِ

أراد: تَسَرَّحَتْ، وقال (١٠١٤):

وَاصَّاعَدَ الفِكْرُ حَتَّى الكَوْنُ في رَهَجٍ بِهِ، وَحَتَّى نَسِيجُ الكَوْنِ مُنْخَرِقُ

أراد: تَصَاعَدَ، وقال (١٦٣):

عَمَرَتْ بِذِكْرِكِمُ اللّذِيذِ مَجَالِسٌ وَازَّيَّنَتْ بِهَــوَاكُمُ أسْوَاقُ

أراد: تَزَيَنَتْ كما في قوله تعالى: {حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ}[١٢]،

الأصل: تَزَيَنَتْ فأدغم التّاء في الزّاي، وقال (١٠٣٧):

وَاصَّعَدَتْ آهَةٌ وَغَطَّى عَيْنَـيَّ مِنْ رَهْبَــةٍ قَتَامُ

أراد: تَصَاعَدَتْ، فأدغم التّاء في الصّاد، والظّاهر أنَّ هذا الأسلوبَ قد استمدَّه الجواهريّ من لغة القرآن الكريم، ولا سيّما قوله تعالى:{ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ}[١٣]، أي: يَتَصَعَّدُ، وهذا يوحي بمدى تأثّر الشّاعر بلغة القرآن الكريم ألفاظاً وأساليبَ، وليس ثمّةَ ما يُعيق الشّاعر من استعمال الفعل في صيغته الأساسيّة من الوزن والقافية، ولو قال: (تَسَرَّحتْ) مكانَ (اسَرَّحَتْ)، و(تَصَاعَدَ) مكانَ (اصَّاعَدَ)، و (تَزَيَنَتْ) مكانَ (ازَّيّنَتْ) و(تَصَعَّدَتْ) مكانَ (اصَّعَدَتْ) لاستقام الوزن العروضيّ ولكنّه أراد مجاراة القرآن الكريم في أساليبه منَ الأصوات والألفاظ والتراكيب .

ومن استعمالات الشّاعر الأخرى فكّ الإدغام في مثل قوله (١٣٥):

أ أحْمَدُ مَا أبْثَثْتُكَ الهَمَّ وَالجَوَى مُكَاشَفَةً إلّا لأنّكَ عَارِفُ

أراد: ما بثَثْتُك، أو ما أبثّك الهمّ والجوى.

-المصدر:

ترد مصادر بعض الأفعال في شعر الجواهريّ على غير القياس اللّغويّ، فمن ذلك مثلاً استعمالُه (ادِّنَاء) مصدراً للفعل (دَنِئَ)، والمعروف أنّ مصدره دَنَاءةٌ ودَنَأٌ، يُقال: دَنَأَ يَدْنَأُ دَنَاءَةً، وَدَنِئَ يَدْنَأُ دَنَأً[١٤]، قال (١٠٨٥):

حَازَهُ مِنْ تَسَفُّلٍ وَارْتِشَاءٍ

وَاقْتِطَاعٍ وَسِرْقَةٍ وَادِّنَاءِ

وكذلك استعماله (عَصوف) مصدراً للفعل (عَصَفَ) في قوله (١٠٦٣):

إلَيْكُمْ وَأنْتُمْ عَصُوفُ الرِّيَاحِ غَضُوبٌ إذَا انْتَفَضَتْ زَعْزَعُ

ومنه استعمالُه (الصُّمُوت) مصدراً للفعل (صَمَتَ) على غير القياس؛ إذ قياسُ مصدره (صَمْتاً)، يقول (٧٥):

فَصُمُوتاً فَلَكَمْ جَرَّ لَكَ النُطْقُ وَبَالا

ومنه استعمالُه (الطُّعُون) مصدراً للفعل (طَعَنَ)، والقياس في مصدره (الطَّعْنُ)، يقول (١٠٣٦):

مَا إنْ نُبَقّي فِيهِ مِدَبّاً لِلطَّعْنِ مِنْ كَثْرَةِ الطُّعُونْ

أراد: من كثرة الطَّعنِ، وليس هذا من باب الجمع، إذِ الكثرة تدلّ على الجمع.

الاشْتقاق:

للجواهريّ طريقةٌ خاصَّةٌ في اشتقاق الاسماء ما يمكن عدُّه من خصائص لغته الشّعريّة، إذ الصِّيغة في اللّغة الشّعريّة تمتلك من الإمكانات ما لا تمتلكه في غيرها، والشّاعر المبدع هو الذي يستطيع تطويع اللّغة لتتناسب وما يريد التعبير عنه، فإنَّ (أهمَّ مَا يُميّز البنيةَ قدرتُها على التّغيّر والتّصرُّف في البناء اللّغويّ)[١٥] فمن ذلك اشتقاقُه (دَاهِر) اسمَ فاعلٍ منَ الفعل (دَهَرَ) في قوله (١٠٢٩):

وَحَسِبْتُ أنّيَ دَاهِرٌ مَا شِئْتُ أرْغُمُ أنْفَ دَهْرِي

أي: أنا صاحب الدّهر، أو منسوبٌ إلى الدّهر، أي أعيش أبد الدّهر، ومنه اشتقاقُه (الحابل) و (النّابل) في قوله (١٠٤٥):

غَزَتْكَ أسَاطِيلُ الطُّغَاةِ وَطَوَّحَتْ بِحَابِلِ حُوتٍ فِيكَ أقْوَاسُ نَابِلِ

فالحابل صاحب الحبل، والنّابل صاحب النبل، ومنه اشْتقاقُهُ (النّاصل) منَ النَّصلِ في قوله (١٠٤٦):

وَخَفْقِ مَصَابِيحٍ كَأنَّ خَوَالِجِي تَغَلْغَلْنَ فِيهَا مِنْ مُلَيْحٍ وَنَاصِلِ

ومنه كذلك اشتقاقه (المُذْئِب) وهو المكان الذي تكثر فيه الذِّئاب، و (المُسْبِع) وهو المكان الذي تكثر فيه السِّباع، يقول (١٠٦٢):

وَمُسْتَوحِشٍ مِنْ مَدِبّ الذِّئابِ يَضِيقُ بِهِ المُذْئِبُ المُسْبِعُ

أراد: كثير الذّئاب والسِّباع، يُقال: أرضٌ مَذْأبَةٌ: كثيرة الذِّئاب، كقولهم: مأسَدةٌ، من الأسد، أي كثيرة الأسود، وأرضٌ مَسْبَعةٌ ذاتُ سِباعٍ[١٦]. ومن ذلك اشتقاقُه (افْتَأدَ) للإصابة، أي: أصاب فؤاده، يقول (٩٩٧):

أنْعَشْتَ مِنْهُ فُؤاداً ظَلَّ مُحْتَبِساً لَدَى الدَّخِيلِ كَئيباً فَهْوَ يُفْتَأدُ

أي: يُصاب في فؤاده. وقد يشتقّ اسم فاعلٍ من غير الثلاثيّ على وزن (فاعل) كما في قوله (٢١٢):

بَسَمَ الدّهرُ بُرْهَةً وَتَجَافَى بَعْدَهَا كَاشِراً أضْرَسَهْ

أراد: مُكَشِّراً، لأنّ (كَشَّر) رباعيّ يكون اسم الفاعل منه على وزن (مُفَعِّل) ولكنّه خرق هذا القياس. ومنه اشتقاقُه (تَفَعَلَ) للدُّخولِ في الشّيء أو الصّيرورة فيه نحو قوله (٦٢):

تَتَـرَّكُـوا تَأرْمَـنُوا تَنَكَلَـزُوا تَهَنَـدُوا

أي: صِيرُوا أتراكاً أو أرمنيّن أو انكليزيّن أو هنوداً، وهو ما يبدو قريباً من اللّغة المستعملة في الحياة اليوميّة.

وللجواهريّ طريقةٌ خاصّةٌ في تعدية الفعل تتناوب فيها صيغ التّعدية كاستعماله (أفْعَلَ) بمعنى (فَعَّل) في قوله (٢٢٥):

أخِفُّ إلى المِرْآةِ كُلَّ صَبِيحَةٍ أرَى هَلْ أشَابَ الهَمُّ بِالأمْسِ مِفْرَقِي

فأشاب بمعنى شَيَّبَ وهو الأكثر استعمالاً، ومثله مجيء (أمْتَعَ) بمعنى (مَتَّعَ) في قوله(٢١١):

وَجَدِيرٌ أنْ يُمْتِعَ المَرْءُ بِالخَمْرَةِ نَفْساً وَأنْ يُثَقِّلَ رَاسَهْ

ومن ذلك استعمالُه (فَعَلَ) بمعنى (أفْعَلَ) في قوله (١٤٦):

صَابَتْ حَشَاكَ وأخْطَتْني نَوَافِذُهَا لَيْتَ النَّوائِبَ لَمْ تُخْطئ وَلَمْ تُصِبِ

فالشّاعر استعمل (صَابَ) في أوّل البيت و(أصاب) في نهايته وهما بمعنىً واحد، يُقال: أصابَ يُصِيبُ إصابةً، وصَابَ يَصُوبُ صَوباً إذا قَصَدَ ولم يُخْطئ[١٧].

ومن أساليب الاشتقاق عند الجواهريّ اشتقاق الفاعل من لفظ فعله كقوله (١٥٥):

سَلْمُ الزَّمانِ وّأنْ حَرَصْتَ قَلِيلُ لَا بُدَّ أنْ سَيَغُولُ شَمْلَكَ غُولُ

فاشتقَّ (سَيَغُولُ) من الغول، يُقال: غَالَهُ يَغُولُهُ غَوْلاً إذا أهْلَكَهُ، ومنه قولُه (١٠٧٤):

أرَابَ الجِنَّ إنْسٌ عَبْقَرِيٌّ بِوَادِي عَبْقَرَ افْتَرَشَ الجِبَانَا

فاشتقَ (أرابَ) منَ الرّيبة، أي: جعل في الجنّ ريبةً وخوفاً. ومنه اشتقاقُه (أزَمَ) من (الأزْمَة) وهي الشِّدة في قوله (٢٠٩):

أفْدِي الذينَ إذا مَا أزْمَةٌ أزَمَتْ في الشَّرْقِ حُزْناً عَلَيْهَا قَصَّرُوا اللِّمَمَا

وبذلك تظهر امكانية الجواهريّ ليس في الاشتقاق فحسب، بل في قدرته على الإتيان بألفاظ وردت في اللّغة والاستعمال بصورة واحدة أو نمطٍ واحد كورودها مصدراً أو اسماً فقط.

ثانياً: المستوى النّحويّ:

إنَّ القارئ لشعر الجواهريّ يجد أنّ الشّاعرَ قد قرأ الكثير من دواوين الشعر العربيّ القديم والحديث، ويجد تطابقاً بين شعره وشعر من سبقوه، نتيجة قراءته دواوين هؤلاء الشّعراء كامرئ القيس والبحتريّ وأبي نواس والمتنبيّ وأبي تمّام وابن الرّوميّ والمعرّي وغيرهم كثيرٌ، ويجده درس الجاحظ وأبا الفرج وغيرهم، ودرس قواعد النّحو وهضمها هضماً، ولا غروَ فهو القائل (٩٠١):

سَاءَلْتُ نَفْسِي لَا أرِيـ دُ لَهَا عَنِ النّحْوِ انْصِرَافَا

أتُرَى المُضَافَ إلَيْهِ أحْـ لَى أمْ عَلَاقَتُهُ المُضَافَـا

فهو يرى أنّ النّحوَ أساسُ الكلام، لا يعتدل الكلام إلّا به، ويقول (١١١٤):

سَأقُولُ فِيكِ بِدُونِ تَعْـ مِيَةٍ وَلَا حَذْفِ المُضَافْ

ويقول (٦٩٧):

وَمُرْجِفِينَ بِأَغْمَاضٍ وَغَمْغَمَةٍ هُمُ مِنَ النَّاسِ فِي الإعرَابِ إضْمَارُ

فثمّةَ أناسٌ ينقلون الأخبار الكاذبة ويفترون الكذبَ على النّاس ويخوضون في الغيبة والنّميمة لإشاعة الفتنة بينهم، وهؤلاء لا يؤثّرون في أحد فهم كالضّمير منَ الإعراب، وهذا النّوعُ منَ التّشبيه كثيراً ما يردُ في شعر الجواهريّ، كقوله (٨٠٤):

وَتُجُوهِلْتُ مِثْلَ وَاوٍ لِعَمْرٍو
لَسْتُ أدْرِي ولَا المُنَجِّمُ يَدْرِي

فهو يشبّه نفسه بواو (عمرو) التي تكتب ولا تلفظ فلا قيمةَ لها إشارةً إلى حاله وتجاهل الحكومات له، ومنه قوله (١١٨):

وَكَأنَّ اللُّغَات بِتْنَ يَفْرُقْ نَ كَمَا تَشْتَهِيهِ نِعْمَ وَبِئْسَا

فنعم وبئس هما اللّتان تفرّقان بين اللّغات بالمدح والذّم، وهما اللّذان يعتوران التّاريخ وبما يتصرّف منهما(٧٦١):

حَرْفَانِ للتّارِيخِ يَعْ تَورَانِه بِئْسٌ وَنِعْـمُ
وَبِمَا تَصرّفَ مِنْهُمَا فِي النَّاسِ تُمْدَحُ أوْ تُذَمُّ

فالشّاعر هنا يأتي بمصطلحات النّحو على سبيل المجاز فيوظّفها من أجل إيضاح الفكرة التي يريد إيصالها للمخاطب، (وشعر الجواهريّ حافلٌ بالمجاز وبسائر ألوان البديع)[١٨]، فمن الاستعارة قوله (١٣٤):

وَيَقُولُ إنْ قَالُوا تَصَرَّفَ دِرْهَمٌ لَيْتَ الجُمُودَ عَدَاهُ عَنْ تّصْرِيفِهِ

فهو -هنا- يذمّ البخل والبخلاءَ، وقد استعار مفردتيّ التصرّف والجمود ليشبّه بهما حال البخيل الذي يتمنى أن لا يتصرّف الدّرهم كما لا تتصرّف بعضُ الأسماء وليت الجمودَ منعه من التّصرّف.

ولكن على الرّغم من هذا الموقف منَ النحو نجد الجواهريَّ يذمُّ بعض طلبة العلم الذين يجعلون النّحو قواعدَ صارمةً لا ينبغي خرقُها والتجاوزُ عليها (١٠٤):

صِغَارٌ بَغَوَا للنّحْوِ شَرَّ وَسِيلَةٍ تَضِلُّ بِهَا للسَّالِكِينَ المَقَاصِدُ
يَقُولُنَ أعْرِبْ قَامَ زَيْدٌ وَخَالِدٌ وَمَا جَرَّ إلّا الشُّؤْمَ زَيْدٌ وَخَالِدُ
فَقُلْتُ لَئِنْ قَامَا فَذَا الفِعْلُ حَاضِرٌ وَ قَدْ بَانَ عَمَّا تَسْألُونَ الشَّوَاهِدُ

واللّغة عنده ليست قائمةً على قواعد اللّغة من النحو والصّرف وغيرها فقد يكون الكلام فصيحاً بدونها (١٠٤٠):

قَالَتْ بِأفْصَحِ مَا احْتَوَتْ لُغَةٌ بِلَا نَحْوٍ وَصَرْفِ

ولهذا نجد الشّاعر كثيراً ما يعمد إلى خرق قواعد النحويين والإتيان بما هو مخالفٌ لها لأسباب الضّرورة الشّعريّة مما له نظائر في الشّعر القديم، فمن ذلك:

-حذف المتعجَّب منه:

لعلّ من المسائل التي يمكن ملاحظتها في شعر الجواهريّ حذفُه الضَّمير المنصوب الذي ينوب عن المتعجَّب منه في صيغة (مَا أفْعَلَهُ) مجاراةً لكبار الشّعراء، ومن شواهد هذه المسألة قول امْرئ القيس[١٩]:

أرَى أمَّ عَمْرٍو دَمْعُهَا قَدْ تَحَدَّرَا بُكَاءً عَلَى عَمْرٍو وَمَا كَانَ أصْبَرَا

أراد: وما كان أصبرَها، فحذف الضَّمير الهاء وهو مفعول فعل التّعجّب لدلالة ما قبله عليه[٢٠]. ومنه قول الجواهريّ (٤١٦):

فَيَا لَكِ بُشْرَى مَا أرَقَّ وَمَا أصْفَى أغَاثَتْ نُفُوساً مَا أحَنَّ وَمَا أصْبَا

أراد: ما أرَقَّهَا وَ ما أصْفَاهَا وما أحنَّهَا وما أصْبَاهَا، ومنه قولُه (٤٦٣):

لَعَنْتُ اللّفظَ مَا أَقْسَى وَأَطْغَى وَمَا أعْصَى عَلَى صُوَرِ المَعَانِي

أراد: ما أقْسَاهُ ومَا أطْغَاهُ ومَا أعْصَاهُ على المعاني فحذف الضّمير وهو الهاء لورود ما يشير إليه وهو اللّفظ. وقال (١١٠٤):

والجُمُوعُ الحُمْسُ مَا أغْضَبَهَا وَهْيَ في غَضْبَتِهَا مَاأرْوَعَا

أراد: مَا أرْوَعَهَا. وقال (١٠٥٧):

وَسَايَرْتُمُ تَمُّوزَ دَرْباً تَعَثَّرَتْ بِهِ ذِكْرَيَاتٌ مَا امَرَّ وَأَعْذَبَا

أرادَ: ما أمَرَّها وَأعْذَبَهَا، فحذف الضَّمير العائد على المتعجّب منه وهو الذّكريات، وهذا التّصرّف من الشّاعر ليس قصوراً منه في لغته الشِّعريّة بل هو دليل على تمكّنه منها، وإحاطته بقواعدها ومعرفته بما يجوز منها وما لا يجوز.

وكذلك ورد حذف المتعجّب منه في صيغة (أفْعِلْ بِهِ) كقول الجواهريّ (٢٢٣):

وَأجْدِرْ بِأنْ يَشْتَاقَ مِثْلُكَ مِثْلَهَا وأَنْعِمْ بِأنْ تَحْنُو عَلَيْهَا وَأخْلِقِ

أراد: وَأخْلِقْ بذلك فحذف.

-العطف على الضّمير المجرور:

وهذا منَ المسائل الخلافيّة بين البصريين والكوفيّين، فالبصريّون لا يجوّزون أن تقول: مررتُ بك وزيدٍ وأجازه الكوفيّون[٢١]، وبه قُرِئ قولُه تعالى: (وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ)[٢٢] بجرّ الأرحام عطفاً على الضَّمير المجرور بالباء وهو الهاء[٢٣]، وعليه كذلك قولُ الجواهريّ (٥٠٧):

يَوْمَ الشَّـهيدِ تَحِيَّةٌ وَسَـلَامُ بِكَ والنِّضَالِ تُؤَرَّخُ الأعْوَامُ

أراد: بك وبالنّضال، وقال (٥٠٧):

بِكَ والضَّحَايَا الغُرِّ يَزْهُو شَامِخاً عَلَمُ الحِسَابِ وَتَفْخَرُ الأرْقَامُ

أراد بك وبالضّحايا الغرِّ فعطف على الضّمير المجرور وهو الكاف من دون إعادة حرف الجرّ، وقال (١٠٠١):

يَا رَسُولَ النِّضَالِ ألْفُ سَلامٍ لَكَ وَالقَادَةِ الهُدَاةِ الغَيَارَى

أراد: لكَ وللقَادة الهداة.

-جرّ الضّمير بالكاف:

المعروف أنّ الكاف لا تجرُّ إلّا الاسمَ، وما جاء من جرّها الضّمير شاذٌّ وقليلٌ[٢٤]، وقد ورد على هذا قولُ الجواهريّ (٤٤٥):

وَلَنْ تَجِدِي كَإيَّانَا نَصِيراً يَدُقُّ مِنَ الأسَى رَاحاً بِرَاحِ

فقد جرَّ الضَّمير (إيّانا) بالكاف.

-وقوع الضّمير المتّصل بعد إلّا:

المعروف عند النّحويّن أنّ الضّمير المتّصلَ لا يقع بعد (إلا) في الاختيار، وما جاء منه في الشّعر فهو ضرورةٌ، فمن شواهده قولُ الشّاعر[٢٥]:

فَمَا نُبَالِي إذَا مَا كُنْتِ جَارَتَنَا أَلَّا يُجَاوِرَنَا إلَّاكِ دَيَّارُ؟

ونجد ذلك في شعر الجواهريّ كذلك من مثل قوله(٣٩٩):

إنّي وَجَدْتُ المَكْرُمَاتِ مَتَاجِراً يَبْغِي ذَووهَا مَتْجَراً إلّاكَا

وقوله (٣١٥):

تَكَفَلْتُهُ مُسْتَعْصِماً بِكَ لَائِذاً وَلَيْسَ لَهُ إِلَّاكَ وَاللهُ عَاصِمُ

وقوله (٢٨١):

وَقَدْ يَجِيء بِمَا لَمْ يَجْرِ فِي خَلَدٍ وَقَدْ يَقُولُ الذي لَمْ تَهْوَ إِلَّاهُ

-مجيء خبر (كان) ضميراً:

وهو ممّا أجازه النّحويّون متّصلاً كان أو منفصلاً، فيجوز أن تقول: كنتُهُ، وكنتُ إيّاهُ[٢٦]. وعلى هذا قولُ أبي الأسود الدّؤليّ [٢٧]:

فَإِنْ لَا يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهُ فَإِنَهُ أَخٌ أَرْضَعَتْهُ أُمُّهَا بِلِبَانِهَا

ومنه قول الجواهريّ: (١٠٤٧):

فَتَىً خَبَطَ الدُّنَى وَالنَّاسَ طُرّاً وَآلَى أَنْ يَكُونَهُمَا فَكَانَا

فقد جعل خبر كان ضميراً عائداً على الدّنى والناس وهو الهاء.

-استعمال (مِنْ عَلَى) اسماً بمعنى فوقَ :

تأتي (على) اسماً بمعنى (فوق) بعد دخول (مِن) عليها [٢٨]، وقد ورد ذلك في قول الجواهريّ (٢٩٠):

وَلَقَدْ هَزَّنِي مَسِيلُ غَدِيرٍ مِنْ عَلَى جَانِبَيْهِ رَوْضٌ عَشِيبُ

فقولُه (مِنْ عَلَى) بمعنى (فَوْقَ)، أي: على جانبيه روضٌ جميلٌ، ويمكن أن تكونَ (مِنْ) زائدةً، أي: على جانبيه، والظّاهر أنّ الوزن هو الذي اضطرَّ الشّاعرَ إلى هذا الاستعمال. ومنه كذلك قولُه (٤١٠):

قُمْ تَجِدْهُمْ مَالِكِي غِلَّتِهِمْ مِنْ على عَهْدِكَ كَانُوا الأَجَرَاءْ

ويمكن أن تكونَ (على) زائدةً، أي: من عهدِكَ، ولكنّها أضافت معنى جديداً وهو الدّلالة على الزّمن، أي: من زمن عهدك كانوا أجراء.

- دخول (يَا) النِّداء على الفعل:

قد يدخل حرف النِّداء الياء على الفعل فيفيد مجرَّد التّنبيه لا النِّداء[٢٩]، وقُرئ عليه قولُه تعالى:{أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ}[٣٠]، أي: ألّا يَا اسْجُدُوا. وقد ورد هذا الأسلوب في قول الجواهريّ (١١١):

فَيَا جَبَرَ اللهُ ذَاكَ الكَسِير وَ يَا خَسِرَ الصَّفْقَةَ الرَّابِحُ

فقولُه (جَبَرَ اللهُ) و (خَسِرَ) يفيد التّنبيه لا النِّداء لدخوله على أفعال وهي (جَبَرَ) و (خَسِرَ). والذي يبدو أنّ هذا الأسلوبَ أقربُ إلى التمنّي منه إلى التّنبيه؛ فالشّاعر يتمنى أن يجبرَ اللهُ الكسير، ويدعو على أعدائه بالخسران والفشل. ومنه قولُه (٥٨):

فَيَا لا سَقَتْ إلّا يَدَاهُ ضَرِيحَهُ فَفِيهِ مَسِحُّ الغَيْثِ حَلَّ وَمَاطِرُه

والذي يبدو أنَّ هذا من باب التّأكيد على مكانة الممدوح، ما حدا بالشّاعر إلى الجمع بين أداتين تفيدان المعنى نفسَه، وهما (يَا) و (لَا)، إذ كلاهما تفيدان الدّعاء.

-الجرُّ بـ (حَاشَى):

يُستثنى بـ (حَاشَا) ضميرُ المتكلِّم، أي: (حَاشَايَ) فيكون في محلّ جرّ، أمّا النّصبُ به فيكون (حَاشَاني)[٣١]، وقد ورد الجرّ في قول الجواهريّ (٣٩٩):

حَاشَايَ لَمْ أدْلِفْ إلَيْكَ تَزَلُّفاً كَلّا ولَسْتَ تُرِيدُهُ حَاشَاكَا

وقوله (٢٠٠):

أتُرَى مِنِ اشْفَاقَةٍ هذِه النَّظرَةُ أمْ سَاءَ بِي- وَحَاشَايَ- ظَنّا

والظّاهر أنَّ الشّاعر لم يستثنِ نفسه؛ فليس ثمّةَ استثناء، بل هو يُنزِّه نفسه منَ التزلّف وطلب الرّضا من أحد، كما ينزّه نفسه من أن يُسيء أحدٌ الظّنّ به، أو يُشْفق عليه، ولذلك تكون (حاشَا) -هنا- للتّنزيه لا للاستثناء.

زيادة (ما) بعد (رُبَّ):

وهذا الأسلوب كثيراً ما يرد في شعر الجواهريّ كقوله (٣١٩):

أو أنّني حَجَرٌ وَرُبَّتَـــمَا قَدْ بَاتَ أرْوَحَ مِنّيَ الحَـجَرُ

وقوله (٣٢٣):

وَرُبَّتَمَا لَاحَتْ عَلَى السِّنِّ ضِحْكَةٌ لَهُ تَنْفُثُ السُّمَّ الزُّعَافَ وَتَلْصِبُ

ثالثاً: المستوى الدّلاليّ:

تتميّز لغة الجواهريّ بأنّها لغةٌ تحاول مجاراة النماذج الشّعريّة القديمة على المستويات اللغويّة جميعها، ويتّضح ذلك عن طريق:

أ-المعجم الشّعريّ:

ونقصد به المفردة أو الجمل التي كانت سائدةً في العصور القديمة والتي كانت تتردّد في قصائد شعراء العصر الجاهليّ وغيره، وهو متأتٍ كذلك من موروثه الشّعريّ وكثرة قراءته لدواوين هؤلاء الشّعراء، ولعلّ ما يُلْفت الانتباه استهلاله مقدّمات قصائده بما كان مشهوراً من المقدّمات الطّلليّة وبكاء الدّيار من مثل قوله (٦٩١):

تَرَنَّحَتْ مِنْ شَكَاةٍ بَعْدَكَ الدَّارُ وَهَبَّ بالغَضَبِ الخَلّاقِ جَبّارُ

أو الدّعوة إلى الوقوف وتذكر الأهل والأحبّة كعادة شعراء العصر الجاهليّ من مثل قوله (٤٢٢):

قِفْ بِالمَعَرَّةِ وَامْسَحْ خَدَّهَا التَّرِبَا وَاسْتَوْحِ مَنْ طَوَّقَ الدُّنْيَا بِمَا وَهَبَا

أو مخاطبة الحبيبة والصّاحبة كقوله (٦٦٤):

يَا أُمَّ عَوْفٍ عَجِيبَاتٌ لَيَالِينَا يُدْنِينَ أهوَاءَنَا القُصْوَى وَيُقْصِينَا

أو البدء بنداء النّديمين أو الخليلين كقوله (١٢٨):

خَلِيلَيَّ أحْسَنُ مَا شَاقَني بِفَارسَ هذا الجَمَالُ الطَّبيعِـيّ

ومن ذلك الألفاظ التي كوّنت معجمه الشّعريّ ممّا كان شائعاً في العصور القديمة لفظا (تَرْنُو) و (لِحَاظ) في قوله (١١٢):

وَاسْتَخَفَّتْ بِهِ الشُّعُوبُ وَبَاتَتْ وَهْيَ تَرْنُو لَهُ بِلَحْظٍ خَفِيّ

ومنها ريح الصِّبا في قوله (١٣١):

جَدِّدي رِيحَ الصِّبَا عَهْدَ الصِّبَا وَأعِيدي فَالأحادِيثُ شُجُون

ومنها كذلك: سانح الطَّير (١٢٠)، وتالد وطريف (١٣٤)، وداعي الصَّبابة (١٦٢) وغيرها.

ومن معجمه الشّعريّ الألفاظ العاميّة كاستعماله لفظة (عَافَ) بمعنى ترَكَ، ولم تستعمل في اللغة بهذا المعنى، وإنّما جاء: عَفَا يَعْفو، وعَفَتْ الدِّيار إذا درست وانمحت آثارُها[٣٢]، يقول الجواهريّ (١٣٢):

حَبَّذا فَارسُ مِن مُسْتَوطنٍ عَافَهُ الأهلُ وخَلّاه القَطِينْ

ومنه اشتقاقُه (أزْمَنَ) أي صار مُزْمِناً في قوله (١٧٤):

أزْمَنَ الدَّاءُ في العِراقِ وَلَن يَشْفِيه إلّا الجَرّاحُ والعَمَليّه

ب-اللّغات:

يرد في شعر الجواهريّ كثير من المسائل التي عدّها اللّغويّون من باب اللّغات الخاصّة بقبائل العرب، وهذا ينمّ عن اطّلاع الجواهريّ على تلك اللّغات ومعرفته بها، وقد ألمح هو إلى ذلك في شعره، كما أشار إلى عيوب النّطق في قوله (٧٨٣):

لَكِنْ رَأيْتُ سِمَاتِ الخَيْرِ ضَائِعَةً فِي الشَّر كَاللَّثْغِ بَيْنَ السِّينِ والشِّيْنِ

فهو يرى أنّ صفات الخير في هذا الزّمن ضائعة في الشرّ فهي أشبه بالألثغ الذي لا يميّز بين السِّين والشّين. وسنشير إلى اللّغات التي وردت في شعر الجواهريّ وهي:

-حذف لام (لعَلَّ):

وهي لغةٌ لبعض قبائل العرب فإنّهم يحذفون اللّام الأولى ويقولون (عَلَّ) بفتح اللّام وكسرها[٣٣]، وقد وردت هذه اللّغة في شعر الجواهريّ في قصيدة (ابن الفراتين) سبع مرّات وهي قولُه (٩١٧-٩١٨):

هَاتُوا بِهَا عَلَّ أنْ يُسْتَصْلَحَ الجَسَدُ فَقَدْ تَقَطَّعَ عَنْ أنْيَاطِهِ الكَبِـدُ

هَاتُوا بِهَا عَلَّ دَوْحاً جَفَّ يَرْتَعِدُ وَعَلَّ شَوْكَةَ ذُلٍّ فِيهِ تُخْتَضَـدُ

وَعَلَّ عَارَ حُزَيْرَانٍ وَوَحْشَتَـهُ تَرْفَضُّ عَنْهَا اللَّيالي الحلَّكُ الرُّبُدُ

هَاتُوا بِهَا عَلَّ فِي فَدْيٍ مُشَارَكَةً لَا يُفْتَدَى غُيَّبٌ عَنْهُ بِمَنْ شَهِدُوا

وَعَلَّ فَيْضَ الدَّمِ الخَلَّاقِ مُكْتَسَحَاً يَلِفُّ مَنْ رَغِبُوا فِيهِ بِمَنْ زَهِدُوا

هَاتُوا بِهَا عَلَّهَا تُحْدَى بِأَنْظِمَـةٍ عَلَى المُسَوَّدِينَ لَا السَّادَاتِ تَعْتَمِدُ

وإنّما أوردنا هذه المقطوعة والأبيات كاملةً لنبيّنَ أنَّ هذا الاستعمال عند الشّاعر ليس ضرورةً شعريّة فحسب، بل هو وعيٌ تامٌّ بلغته ينمّ عن ثقافة عالية واطلاع واسع هو حصيلة قراءته الكثير من دواوين الشّعراء.

ومن ذلك قولُه (٧١٨):

فَقُشُورُ البَيْضِ جَاهِزَةٌ عَلَّهَا تَشْفِي مِنَ الهَوَسِ

-حذف الهمزة من (اتّخَذَ):

وهو لغةٌ بمعنى (أخَذَ)، وبه قُرئ قولُه تعالى:{قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً}[٣٤] قال أبو حيّان (ت٧٤٥هـ): (يُقالُ: تَخِذَ واتَّخَذَ، نحو: تَبِعَ واتَّبَعَ، افْتَعَلَ مِنْ تَخِذَ وأدْغَمَ التَّاءَ في التَّاء)[٣٥]، وقد وردت هذه اللغة في شعر الجواهريّ من مثل قوله (٢٨٥):

فَلَوْ كُنْتُ دِينِيّاً تَخِذْتُ مُحمّداً وَعِيسَى وَمُوسى حُجَّةً وَرَكَائِبَا

وقولُه في القصيدة نفسها:

تَخِذْتُ الوَرَى بالظَّنِّ أُحْصِي خُطَاهُمُ وَرُحْتُ لِدَقَّاتِ القُلُبِ مُحَاسِبَـا

وقال أيضاً (٢٦٩):

وَجُزِيتُ شَرّاً عَنْ طُمُوحِي فَهَا أنَا بِرَغْمِيَ لَا خِلّاً تَخِذْتُ وَلَا خَمْرَا

وقال (٢٠٣):

أ إنْ حُلِقَتْ لِحَيً مُلِئَتْ نِفَاقـاً تَخِذْتُمْ شَعْرَهَا دِرْعاً مَنَاعَـا

وقال (١٩٤):

وَقَدْ تَخِذُوا لُحُومَ بَنِيهِ زَادا وَقَدْ لَبِسُوا جُلُودَهُمُ ثِيَابَـا

وقال (١٥٣):

تَخِذُوا الثَّبَاتَ سِلَاحَهُـمْ وَتَدَرَّعُوا حَزْماً وَجِـدّا

وقال (١٤٦):

قَدَّمْتَ لِلهِ أعْمَالاً تَخِذْتَ لَهَـا مِنَ التُّقَى مَسْرَحاً في مَرْتَعٍ خَصِبِ

-إبدال الهمزةِ هاءً:

تُبدل الهمزةُ هاءً في بعض لغات العرب، فيقولون: هُريق الماءُ بدلاً من: أُريق الماءُ، وبعضُهم يجمعون الهمزةَ والهاء في لغة أخرى فيقول: أهرق الماء يُهرقُه إهراقاً[٣٦]، وقد وردت هاتانِ اللّغتانِ في شعر الجواهريّ، فمن إبدال الهمزة هاءً قولُه (٣٧٢):

اسْمَعِي هَذَا دَمٌ شَاءَتْ لَهُ نَخْوَةٌ مُهْتَاجَةٌ أنْ يُهْرَقَــا

وقولُه (٢٧٣):

أَلِهَذا هَرَقْتُمُونِي وَأَضْحَى أَلْفُ عُرْضٍ وَأَلْفُ مُلْكٍ مُشَاعَا

وقد جمع بين الهمزة والتّاء في قوله (٧١٧):

وَتَذَكَّرَنْ مَا أَسْلَفُوا وَتَجَرَّمُوا فِي الرَّافِدَيْنِ وَأَهْرَقُوا وَأَبَاحُوا

-نصب خبر (ليت):

يجوّز بعض النحويين أن تنصبَ (لَيْتَ) الاسم والخبر، فتقوم مقامَ الفعل (أتَمَنَّى)، فيُقال مثلاً: ليت زيداً حاضراً كما يُقالُ: أتَمنَّى زيداً حاضراً، وعد بعضهم على إضمار (كان)، أي: ليتَ زيْداً كان حاضراً[٣٧]، فمن ذلك قولُ رؤبة بن العجّاج [٣٨]:

يَا لَيْتَ أيّامَ الصِّبَا رَوَجِعَا

وهذه من المسائل الخلافيّة بين البصريّين والكوفيّين، فالبصريّون يرونه على تقدير فعل محذوف، أي (يَا ليْتَ لنا أيّامَ الصِّبا رواجعاً، فيكون أيّام الصِّبا اسمَ ليتَ والخبر الجارّ والمجرور المقدّر، ورواجعاً حالٌ، وتنوينُه ضرورةٌ، وقيل تقديرُه: أقبلت رواجعاً، فيكون أقبلت الخبرَ ورواجعاً أيضاً حالٌ، وكان بعضُهم ينصب الاسمَ والخبرَ بعد ليت تشبيهاً لها بوددتُ وتمنّيتُ؛ لأنّها في معناهما وهي لغةُ بني تميم يقولون: ليت زيداً قائماً وعليه الكوفيّون، والأولُ أقيس وعليه الاعتمادُ وهو رأي البصريّين)[٣٩].

وعلى هذا قولُ الجواهريّ (٨٢٧):

نَحْنُ الكِبَارَ لَيْتَنَا أطْفـالَا

وَلَمْ نُزَلْزِلْ بَعْضَنَا زِلْزَالَا

فقد نصب اسمَ ليت وخبرَها على مذهب الكوفيين وعلى لغة من لغات العرب، وإن كان الوزن ورغبة الشّاعر في التّصريع بين (أطفالاً) و(زلزالاً) هما اللّذان اضطرّاه إلى ذلك، وما يبدو كذلك أنّ الشّاعر مولعٌ بكلّ ما هو غريب وغير مستعمل أو نادر في اللّغة سعياً منه إلى مجاراة كبار الشّعراء.

-حذف همزة (إجَابَةً):

وهو مصدر الفعل (أجَابَ) إذا ردَّ الكلام، يُقال: أجابه عن سؤاله إجابةً وإجاباً وجواباً وجابةً، فهو مصدرٌ كالإجابةِ، وقيل: هو اسمٌ يقومُ مقامَ المصدر(٤٠)، وفي المثل (أسَاءَ سَمْعاً فَأسَاءَ جَابَةً)(٤١). ومنه قولُ الجواهريّ (٩٣٠):

نَادَيْتُ شَيْطَاني فَأحْسَنَ جَابَةً وَهْوَ المُعَاصِي سَيِّدَ الأرْبَابِ

ولعلّ ما يُؤيّد أنّ هذا استعمالٌ مقصودٌ من الشّاعر فضلاً عن كونه ضرورة المفردات المشحون بها جوّ القصيدة، فشيطان الشّعر معتقد كان سائداً في الجاهليّة؛ إذ لكلّ شاعر شيطاناً يلهمه قول الشّعر، وربّ الأرباب أو سيّد الأرباب أيضاً من الألفاظ السائدة في الجاهليّة، فلا غروَ أن تكونَ الجَابَةُ أيضاً من اللّغات الشّائعة في ذلك الوقت، وما أوردناه في المثل خير دليل على ذلك.

-حذف تاء (اشْتَرَى):

الشّراء والاشتراء لغتان، يقال: شراه واشتراه إذا باعه(٤٢)، قال تعالى: (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ)(٤٣)، قال أبو عبيدةَ (ت ٢١٠هـ): (أي باعُوهُ؛ فإذا بِعْتَهُ أنتَ تقُولُ: اشْتَرَيْتُه)(٤٤). وقد ورد الفعل (شَرَى) في شعر الجواهريّ بمعنى (اشْتَرَى) وهو قولُه (٢٠٦):

وَهَبْنِيَ مَا صَلَّتْ عَلَيَّ مَعَاشِرٌ تُبَاعُ وَتُشْرَى مِنْهُمُ الصَّلَوَاتُ

وقولُه (١٦٦):

هَلُمَّا نَبِعْ عُمْراً وَنَشْرِ مَسَرَّةً فَلَيْسَ بِعَدْلٍ أنْ نَبِيعَ وَلَا نَشْرِي

فالشّراء هنا بمعناه الذي يُقابل البيع وليس بمعنى البيع.

خاتمة البحث ونتائجه:

لا بدّ في الأخير من أن نشير إلى النتائج التي توصّلنا إليها من خلال دراستنا الظواهر الاسلوبيّة في شعر الجواهريّ وهي:

- يبدو الجواهريّ متأثراً بلغة القرآن الكريم، ليس على مستوى اللّفظة فحسب فعلى المستوى الصّوتيّ نجد الشّاعر يحذو حذو القرآن الكريم في كثير من المسائل، كالإدغام في بنية (تَفَعَّلَ) و (تَفَاعَلَ)، إذ يستعمل (اصّعَّدَ) مكان (يَصَّعَّدُ)، و(اسَّاقَطَ) مكان (يَتَسَاقَطُ).
- وعلى المستوى الصَّرفيّ ظهر كثير من المسائل التي خرق فيها الجواهريّ قانون اللّغة، إذ الشّعر لا يخضع لقانون اللّغة، بل الشّعر كما يقال هو خرقٌ لقانون اللّغة، وأوّل ما يلفت النظر في شعر الجواهريّ الجمع الذي ليس على قياس معيّن، كجمعه (عَصْر) على (عُصُر) و(أعْصَار)، و(حُقْبَة) على (أحْقِبَة)، و (جَبَل) على (أجْبَال)، وغيرها كثير. ومن ذلك استعماله المصادر على غير القياس، كاستعماله (ادِّنَاء) مصدراً للفعل (دَنُؤ)، و(عُصُوفاً) مصدراً للفعل (عَصَفَ).
- حاول الشّاعر في كثير من الأحيان مجاراة كبار الشّعراء في الجاهليّة والإسلام وغيرها من العصور الأدبيّة، وجدنا ذلك في الاستعمالات النحويّة ممّا له نظائر في الشّعر العربيّ القديم، فمن ذلك مثلاً وقوع الضّمير المتّصل بعد (إلّا)، والعطف على الضّمير المجرور من دون إعادة حرف الجرّ، وحذف المتعجب منه وغيرها.
- وقد ظهرت في شعر الجواهريّ ظواهر تشير إلى لغة من لغات العرب، لا تعود إلى الضّرورة الشّعريّة، بل لمعرفة الشّاعر بها وإدراكه لما يجوز له في لغة الشّعر ممّا لا يجوز، فمن ذلك حذفُه اللّام الأولى من (لَعَلَّ) وهي لغةٌ مشهورةٌ لبعض قبائل العرب، ومنه أيضاً نصب خبر (لَيْتَ)، وحذف الهمزة من المصدر (إجَابَةً) أي (جَابَةً)، وحذف الهمزة كذلك من (اتَّخَذَ) أي (تَخِذَ) وبهذه اللّغة وردت القراءات القرآنيّة، ومنه كذلك إبدال الهمزة هاءً كما في لفظة (أُرِيقَ) أي: هُرِيقَ.

هوامش البحث:

(١) الدّلالة الوظيفيّة في بنية اللّغة الشّعريّة، د. عامر السّعد:١٢٦

(٢) بنية اللّغة الشّعريّة ، جان كوهن: ٤٩

(٣) الدّلالة الوظيفيّة:١٢١

(٤) لسان العرب: (عَبَدَ) ٨/٦

(٥) سورة النبأ:٢٣

(٦) سورة أل عمران: ١٤٣

(٧) تفسير البحر المحيط: ٢/ ٥٥٠

(٨) سورة البقرة: ٨٥

(٩) سورة الكهف: ٩٧

(١٠) سورة النجم: ٨

(١١) سورة يوسف: ٤٥

(١٢) سورة يونس: ٢٤

(١٣) سورة الأنعام: ١٢

(١٤) لسان العرب: (دَنِئ) ٣١٣/٣

(١٥) أسلوبيّة البناء الشّعريّ، دراسة في شعر أبي تمّام، د. سامي علي جبار:٦٩

(١٦) لسان العرب : (ذَأبَ) ٣٥٧/٣

(١٧) المصدر نفسه: (صَوَبَ) ٣٠٨/٥

(١٨) لغة الشّعر الحديث في العراق، د. عدنان حسين العوّاديّ: ٣٥٣

(١٩) ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٨٥: ١٢٠

(٢٠) شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد: ١٤٣/٢

(٢١) الإنصاف في مسائل الخلاف، ابن الأنباريّ، تحقيق د. جودت مبروك، مكتبة الخانجيّ، ط١، ٢٠٠٢: ٣٧١

(٢٢) سورة النّساء:١

(٢٣) تفسير البحر المحيط: ٢٢٢/٣

(٢٤) شرح ابن عقيل: ١٦/٢

(٢٥) لم ينسب كما في شرح ابن عقيل: ٨٨/١

(٢٦) شرح ابن عقيل: ١٠١/١

(٢٧) ديوان أبي الأسود الدؤليّ، تحقيق: محمد حسن أل ياسين، دار الهلال، ٢٠١٠م:١٦٢

(٢٨) شرح ابن عقيل: ٢٩/٢

(٢٩) الجنى الدّانيّ في حروف المعاني، المراديّ، تحقيق: د. فخر الدّين قباوة، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٢م: ٣٥٥

(٣٠) سورة النّمل: ٢٥

(٣١) الجنى الدّانيّ: ٥٦٦

(٣٢) لسان العرب: (عَفَا) ٢٢٥/٦

(٣٣) شرح ابن عقيل: ٩/٢

(٣٤) سورة الكهف: ٧٧

(٣٥) تفسير البحر المحيط: ١٩٠/٦

(٣٦) لسان العرب: (هَرَقَ) ٦٠/٩

(٣٧) شرح المفصل:٦٧٣/٣

(٣٨) ديوان العجّاج، تحقيق: د. عزة حسن، مكتبة دار الشّرق، بيروت، ١٩٧١: ٧٧

(٣٩) شرح المفصّل، ابن يعيش: ٢٠٣/١

(٤٠) لسان العرب: (جَوَبَ) ٢٤٤/٢

(٤١) مجمع الأمثال، الميدانيّ، تحقيق: محي الدّين عبد الحميد:٧٤

(٤٢) لسان العرب (شَرِيَ) ٧٤/٥

(٤٣) سورة يوسف: ٢٠

(٤٤) مجاز القرآن، أبو عبيدة، تحقيق: د. فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي بالقاهرة: ٣٠٤/١

مصادر البحث ومراجعه:

- القرآن الكريم.
- أُسلوبيّة البناء الشّعريّ، دراسة في شعر أبي تمّام. د. سامي عليّ جبّار، دار السَّيّاب، لندن، ط١، ٢٠١٠م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف، ابن الأنباريّ (ت٥٧٧هـ)، تحقيق: جودة مبروك، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.
- بنية اللّغة الشّعريّة، جان كوهن، ترجمة: محمد الوليّ ومحمد العمريّ، المغرب، ١٩٨٦م.
- تفسير البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسيّ (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: د. عبد الرزّاق المهديّ، دار إحياء التراث الهربيّ، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠١٠م.
- الجنى الدّاني في حروف المعاني، المراديّ (ت٧٤٩هـ)، تحقيق: فخر الدّين قباوة ومحمد نديم، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٩٢م.
- الدِّلالة الوظيفيّة في بنية الجملة الشّعريّة، رؤية لسانيّة في تحليل الخطاب الشّعريّ، د. عامر السّعد، دمشق، ط١، ٢٠١٤م.
- ديوان أبي الأسود الدُّؤليّ، تحقيق: محمد حسين آل ياسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، ٢٠١٠م.
- ديوان الجواهريّ، الأعمال الشّعريّة الكاملة، دار الحريّة للطِّباعة والنشر، بغداد، ط٢، ٢٠٠١م.
- ديوان العجّاج، تحقيق: د. عزة حسن، مكتبة دار الشّرق، بيروت، ١٩٧١م.
- شرح ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق: محيي الدِّين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، صيدا- بيروت، ٢٠٠٣م.
- شرح المفصّل، ابن يعيش (ت٦٤٣هـ)، تحقيق: أحمد السّيد أحمد، المكتبة التّوفيقيّة ، القاهرة، د. ت.

- لسان العرب، ابن منظور (ت٧١١)، تحقيق: أمين عبد الوهاب ومحمد الصّادق العبيديّ، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠١٠م.
- لغة الشّعر الحديث في العراق، د. عدنان حسين العوّاديّ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الحريّة للطّباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٥م.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة (ت ٢١٠هـ)، تحقيق: د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.
- مجمع الأمثال، الميدانيّ (ت ٥١٨هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت-لبنان، ط٢، ١٩٨٧م.